مطامع الدول في ثروات القطب الشمالي تنذر بكوارث بيئية

عسكرة المنطقة الجليدية وتسارع الاحتباس الحراري يهددان التنوع الحيوي

تتكالب الدول المطلة على القطب الشمالي على ثروات هذه المنطقة متخذة شعار «مصالحي وبعدها الطوفان» لذلك يتسارع قادة هذه الدول على عسكرة المنطقة الباردة للحصول على مواردها المدفونة تحت الجليد غير مهتمين بمستقبل الأرض التي سترثها الأجيال القادمة، والتي لم تتأخر في الدفاع عن كوكبها من خطر التلوث والاحتباس الحراري.

الغاية لا تبرر الاعتداء على أجيال الغد وحقوقها في العيش

ريكيافيك - تعهدت الدول الثماني المطلة على المنطقة القطبية الشمالية الخميس في أيسلندا بمكافحة الاحترار المناخي المتسارع في القطب الشمالي أكثر بمعدل ثلاث مرات والحفاظ على السلام، رغم المنافسة الجيوسياسية الحادة والتوتر العسكري المتزايد بين موسكو والغربيين.

وقال وزير الخارجية الأميركي أنطوني بلينكن في ريكيافيك خلال اجتماع مجلس القطب الشمالي الذي ضم أيضا روسيا وكندا وأيسلندا والدنمارك وفنلندا والنرويج والسويد "نتعهد بتشجيع منطقة قطب شمالي سلمية حيث يسود التعاون في مجالات المناخ والبيئة والعلم والأمن".

وأضاف أن "المنافسة الاستراتيجية التي تميز القطب الشمالي تجتذب انتباه العالم"، لكن "سمته يجب أن تبقى التعاون السلمي".

وهو تحذير بالكاد يكون مبطنا إلى الصين، التي ورغم أنه لديها فقط صفة مراقب في هذا المنتدى، لا تخفي اهتمامها بهذه المنطقة الشاسعة ذات الظروف القاسية حول القطب الشمالي الغني بالموارد الطبيعية، والذي يسهل تشغيله بسبب انحسار الجليد وتطوير النقل البحري.

لكن أيضا روسيا، المنافس الكبير الآخر للولايات المتحدة، بعد التبادلات المتوترة التي سبقت الاجتماع في العاصمة الأيسلندية حول موضوع خطر "عسكرة" القطب الشمالي، تواصل في السنوات الأخيرة تعزيز انتشارها العسكري في القطب الشمالي فأعادت فتح قواعد ومدرجات طيران وتحديثها بعدما كانت مهجورة منذ الحقبة السوفيتية.

واتهم وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف الخميس الغربيين "باللعب على الكلام" من خلال إقامة وجود عسكري أميركي على أبواب روسيا "بالتناوب" بدلا من وجود دائم للالتفاف على النصوص التي تدير العلاقات بين موسكو وحلف شمال الأطلسي.

وتعرف منطقة القطب الشمالي بظروفها القاسية وفيما يهددها الاحتباس الحراري، تثير مواردها الطبيعية الحقيقية أو المفترضة المطامع.

جغرافيا، تمتد منطقة القطب الشمالي من القطب الشمالي إلى الدائرة القطبية الشمالية عند خط العرض 66 درجة 33.

وهي تشمل بمعنى أدق المحيط المتجمد الشمالي والمناطق الشمالية من النروج والسويد وفنلندا وأيسلندا في أوروبا وغرينلاند (إقليم الحكم الذاتي الدنماركي) وأقصى شمال كندا وروسيا وجزءا من ألاسكا (الولايات المتحدة).

وتتطور الحياة فيها ببطء بسبب درجات الحرارة المنخفضة جدا التي يمكن أن تصل إلى 50 درجة مئوية تحت الصفر والضوء الخافت جدا معظم العام خلال ما يعرف باسم الليالي القطبية.

ولا تنمو فيها سوى نباتات هزيلة تعرف باسم التندرا.

وخلال فترة الشتاء، يُعاد تكوين الغطاء الجليدي لتصل مساحته في مارس إلى ما يزيد قليلا عن 14 مليون كيلومترمربع. أما في الصيف فيذوب وينحسر إلى أقل من 5 أو حتى 4 ملايين كيلومتر مربع في سبتمبر. لكن هذا الاتجاه يتسارع جراء الاحتباس الحراري.

ويبلغ عدد سكان المنطقة القطبية حوالي أربعة ملايين نسمة، بما في ذلك حوالي 500 ألف من السكان الأصليين، الإينوي (الإسكيمو)، وقومية سامي (اللابيون) وشعب ياكوت (ساخا) وشعوب صغيرة في شمال روسيا (نينيتس وأليوطيون).

وبالإضافة إلى الدول الثماني المحيطة بالمنطقة القطبية، تُمثل ست منظمات للسكان الأصليين في مجلس القطب الشمالي.

وتهدف هيئة التعاون الإقليمي هذه التي تأسست عام 1996 إلى تعزيز "الجوانب البيئية والاقتصادية والاجتماعية للتنمية المستدامة في المنطقة".

وتعد المنطقة التي تضم أكثر من 21 ألف نوع من الحيوانات والنباتات واحدة من آخر المناطق البرية المتبقية في العالم. لكن تنوعها البيولوجي معرض للخطر بسبب الأنشطة البشرية وارتفاع درجات الحرارة.

فالاحترار يحدث فيها أسرع بمرتين على الأقل من أي مكان آخر على هذا الكوكب وهو يقلل من امتداد الجليد البحري مهددا الأنواع التي تعيش فيها مثل الدببة القطبية والفقمات.

وخلال ما يُعرف باسم "التضخم القطبي" يتفاعل الهواء والجليد والماء في حلقة مفرغة من الاحترار.

وفي عامي 2019 و2020 وصلت درجات الحرارة فيها إلى مستويات قياسية. وفي العام الماضي بلغت مساحة الجليد البحري الصيفي ثاني أصغر مساحة مسجلة بعد عام 2012.

وإذا لم يكن لذوبان الجليد البحري أي تأثير على مستوى المحيطات، فإن ذوبان الغطاء الجليدي الهائل في غرينلاند أمر مثير للقلق وسيؤدي اختفاؤه التام إلى ارتفاع مستوى سطح البحر بنحو سبعة أمتار.

وتلاحظ ظواهر أخرى مثل اندلاع الحرائق ف وذوبان التربة الصقيعية، ما يؤدي إلى إطلاق كميات كبيرة من الميثان.

وتطمع الدول المحيطة بموارد القطب الشمالي وكذلك بلدان بعيدة عنه مثل الصين التي تعتبر نفسها دولة "شبه قطبية".

ويؤدي الذوبان المتسارع للجليد إلى تسهيل الوصول إلى الرواسب الهيدروكربونية التي يعتقد أنها موجودة تحت قاع البحر.

> **اندلاع الحرائق الكبيرة في الغابات وفي المناطق النائية وذوبان التربة الصقيعية يؤديان إلى إطلاق كميات كبيرة من الميثان**

وجعلت روسيا تنمية الموارد الطبيعية في المنطقة من أولوياتها. وتقدر النرويج أيضا أن بحر بارنتس يحتوي على أكثر من 60 في المئة من احتياطيات النفط غير المكتشفة في البلاد.

ومنح دونالد ترامب امتيازات للتنقيب عن النفط والغاز في ألاسكا، في أكبر منطقة طبيعية محمية في الولايات المتحدة، لكن جو بايدن أوقفها.

وتجذب غرينلاند اهتمام الشركات على الرغم من أن حكومتها ستوقف مشروعا مثيرا للجدل لليورانيوم والعناصر الأرضية النادرة.

كل هذا يغذي السباق على الادعاء بالأحقية على الأراضي التي تتداخل أحيانا. وطلبت موسكو وأوتاوا وأوسلو وكوبنهاغن تمديد "الجرف القاري" أبعد من حدود منطقتها الاقتصادية الخالصة البالغة 200 ميل بحري، مما يمنحها حقوقا فوق وتحت قاع البحر ولكن ليس في المياه نفسها.

ومازالت الولايات المتحدة تجمع البيانات لتقديم طلب، حتى وإن لم تصدق على اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار.

وبعد فقدان الاهتمام بالمنطقة منذ نهاية الحرب الباردة، تعيد القوى الكبرى تمركزها عسكريا فيها.

الكمامات نفايات ضارة وتدويرها غير مربح

باريس - مع إعلان منظمة الصحة العالمية أن فايروس كورونا جائحة عالمية في 11 مارس 2020، أصبح استخدام الأقنعة الواقية والقفازات ركنا أساسيا في مكافحة العدوى التاجية؛ لتتفاقم مشكلة مخلفات معدات الوقاية من الوباء وإعادة تدويرها.

تضاعفت معدلات استهلاك الأقنعة الجراحية بشكل ضخم ووصل معدل إنتاجها إلى أقصى حد، مع الأخذ في الاعتبار أنها مصممة بحيث يمكن التخلص منها بعد أول استخدام؛ نظرا لطبيعة الفايروس والغموض المحيط بعمره على الأسطح وخارجه.

> **الكمامات تتراكم في الشوارع ومواقف السيارات وعلى طول الأنهار وتسد المجاري وتتسبب باختناق الحيوانات البحرية**

ولم يكن العالم بمقدوره الاستعداد لحجم النفايات التي خلفتها الأزمة، مع العلم بأن جميع معدات الوقاية الشخصية تقريبا مصممة من بلاستيك غير قابل لإعادة التدوير، ما يعمق من المشكلة.

وقد تخضع الكمامات الواقية من الفايروس لإعادة التدوير قريبا في أستراليا لتحسين قدرة إسفلت الطرق على المقاومة وزيادة مرونته، أما في الولايات المتحدة فهي تُستخدم لصنع مقاعد المدرسة أو أغطية الأرضيات، في حين أن بعضها في فرنسا يُستعمل في مجال صناعة السيارات.

إلا أن "معدات الحماية الشخصية" لا تزال بعيدة جدا عن إعادة التدوير نظرا إلى وزنها الخفيف وقابليتها للتطاير.

والواقع أن العالم الساعي إلى إبطاء تفشّي جائحة كورونا، ساهم في انتشار مشكلة عالمية أخرى هي التلوث البلاستيكي. فوفقا لجمعية الكيمياء الأميركية، لا يقل عدد الكمامات المصنوعة من مادة البولي بروبيلين المطاطية والمعدنية المستخدمة شهريا في كل أنحاء العالم عن 129 مليارا، أي أكثر من أربعة مليارات في اليوم.

والنتيجة أن هذه الكمامات تتراكم في مواقف سيارات السوبرماركت، وعلى طول الأنهار، أو تسد المجاري، أو تتسبب باختناق الحيوانات البحرية.

ونقل مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) عن شركة "غراند فيو ريسيرتش" أن المبيعات العالمية للكمامات بلغت اعتبارا من صيف العام الماضي 166 مليار دولار في مقابل 800 مليون في عام 2019.

ومع تركيز العالم على الجانب الصحي لأزمة كورونا، وتجاهل حقيقة أن الأقنعة الواقية من العدوى ليست مجرد أوراق بل هي مادة البولي بروبيلين أيضا، أي نفس البلاستيك المستخدم في زجاجات الكاتشب، فإننا أمام مشكلة جديدة تتعلق بالتريليونات من الأقنعة المهملة دون حل عملي لإعادة تدويرها.

ودعا برنامج الأمم المتحدة للبيئة الحكومات إلى التعامل مع إدارة هذه النفايات في مجالَي السياحة وصيد الأسماك كخدمة عامة أساسية. وأشار البرنامج إلى أن ثمة حاجة إلى 40 مليار دولار لمجرّد الحدّ من الآثار الضارة لوصول هذه الملوثات الجديدة إلى المياه.

إلا أنّ آمالا بدأت تبرز بإمكان استخدام هذه المنتجات البلاستيكية مرة ثانية.

وحصل فريق باحثين أستراليين من معهد ملبورن الملكي للتكنولوجيا من خلال خلط الأقنعة المسحوقة مع الردميات المفتتة، على أسطوانة مصنوعة من مادة مرنة وذات قدرة عالية على التحمل يمكن استخدامها كواحدة من الطبقات اللازمة لإقامة طريق.

وتستلزم طريق بطول كيلومتر واحد ثلاثة ملايين كمامة. وقال الباحث في جامعة ملبورن الملكية للتكنولوجيا "آر. إم.آي.تي" محمد صابريان الذي يعوّل على خصائص الكمامات لجهة "قوة الشد"، "نبحث عن شركاء للانتقال إلى التطبيق الفعلي وإقامة طريق تجريبية".

أما قطاع المستشفيات فتولى زمام الأمور بنفسه. ففي بريطانيا، استثمرت مستشفيات عدة في آلة ضغط أنتجتها مجموعة الضغط الحراري في كارديف (ويلز) تتولى صهر الأردية الطبية والكمامات الجراحية في قرص بلاستيكي ذي لون مائل للزرقة، يُستخدم لاحقا في صنع كراسي الحدائق أو طاولاتها.

وفي فرنسا، بدأت تظهر بعض المبادرات في هذا المجال. فمستشفيات باريس وبعض المجموعات الكبيرة كشركة "سان غوبان" لمواد البناء أو محطة "تي.إف 1" التلفزيونية تبادر إلى جمع كماماتها في مستوعبات الفرز. وتُفصَل مكوناتها للإبقاء على البولي بروبيلين فقط، وتحويله إلى حبيبات، ثم إعادة استخدامه في صناعة السيارات.

وفي بعض البلدان، تأتي المبادرات من السلطات المحلية في المدن والمناطق، مثل فانكوفر في كندا التي نشرت مستوعبات جمع الكمامات، ووجدت بعض الدول حلولا لها من خلال حرق هذه النفايات.

لكن الحماسة لتدوير الكمامات تصطدم بضعف الربحية التي توفرها إعادة تدوير الكمامات.

وأوضح المدير العام لشركة "تيرا سايكل" في ولاية نيوجيرزي الأميركية توم زاكي أن "تكلفة جمع الكمامات وفرزها وإعادة تدويرها عالية جدا، مقارنة بقيمة المواد الناتجة". وتبيع الشركة صناديق من الورق المقوى للمؤسسات، يستخدمها زبائنها لرمي الكمامات المستعملة التي يجري بعد ذلك فرزها في أوهايو ومن ثم إعادة تدويرها.

وشرح ذلك قائلا "لماذا يمكن إعادة تدوير الألمنيوم؟ لأن قيمة الألمنيوم عالية جدا، فهي تمثل أكثر من تكلفة جمعه ومعالجته".

وأضاف "لماذا حفاضات الأطفال المتسخة أو الكمامة غير قابلين لإعادة التدوير؟ لأن جمعها وتحويلها يكلف أكثر، مع نتيجة تحويل سيئة، بحيث لا يجرؤ أحد على المخاطرة في مشروع كهذا، إذ لا إمكان لكسب المال".

وتابع قائلا "لهذا السبب نبحث عن رعاة، فإذا أرادت جهة دفع التكاليف، يمكننا تقديم الخدمة".

نفايات كورونا خطر كالوباء